ورواه الترمذى[1] وقال: شك يحيى وهو حديث حسن غريب.

وقال عبد الله بن المبارك: أنبأنا ابن عيينة: عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال: "أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائما لم يؤذه، ومن أكل جالسا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعا لم يؤذه، وذللت قطوفها تذليلا".

وقال أبو معاوية: حدثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن جرير بن عبد الله قال: "نزلنا الصفاح، فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه، قال: فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، قال: فانطلق فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه، فقال: يا جرير، تواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه يوم القيامة. يا جرير: هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدرى. قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويدا لا أكاد أراه بين إصبعيه، فقال: يا جرير، إذا طلبت مثل هذا فى الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبد الله، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر "[2].

* * * * * * *

الباب الخامس والأربعون
فى ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ}**[3].

وقولهم هذا الذى رزقنا من قبل أى شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد أن هذا الذى رزقنا فى الدنيا نظيره من الفواكه والثمار، أو هذا نظير الذى رزقناه قبل فى الجنة؟.

قيل: فيه قولان: ففى تفسير السدى[4] عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة فى الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا.

---

(1) الترمذى فى الجنة: ب(9): حديث (2541).
(2) (حسن) الترغيب والترهيب (970/4).
(3) آية (25) سورة البقرة.
(4) نقله ابن كثير فى "تفسيره" (62/1، 63).

4
5

قال مجاهد: ما أشبهه به، وقال ابن زيد: هذا الذى رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوا به متشابها يعرفونه، وقال آخرون: هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضا فى اللون والطعم، احتج أصحاب هذا القول بحجج:

إحداها: إن المشابهة التى بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التى بينها وبين ثمار الدنيا، ولشدة المشابهة قالوا: هذا هو.

الحجة الثانية: ما حكاه ابن جرير عنهم. قال: ومن علة قائلى هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان. حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن مهدى، حدثنا سفيان سمعت عمرو بن مرة يحدث عن أبى عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال: كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى.

الحجة الثالثة: قوله:**{وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}**. وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذى رزقنا من قبل.

الحجة الرابعة: إن المعلوم أنه ليس كل ما فى الجنة من الثمار قد رزقوه فى الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها، ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر، واحتجت بوجوه:

قال ابن جرير: والذى يحقق صحة القولين: أن معنى هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا أن الله - جل ثناؤه - قال:**{كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً}** يقولون: هذا الذى رزقنا من قبل، ولم يخصص أن ذلك من قيلهم فى بعض دون بعض، فإذا كان قد أخبر - جل ذكره - عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة، فلا شك أن ذلك من قيلهم فى أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها، الذى لم يتقدمه عندهم من ثمارها ثمرة، فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم فى أوله كما هو من قيلهم فى وسطه وما يتلوه، فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة، وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيره منها : هذا هو الذى رزقنا من قبل؟ إلا أن ينسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب، الذى قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول: رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب، دلالة على أن ذلك فى حال من أحوالهم دون حال، فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة فى الجنة، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا.

قلت: أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول، لدلالة العقل والسياق عليه، وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولابد بأنواع من التخصيصات.

أحدهما: أن كثيرا من ثمار الجنة وهى التى لها نظير فى الدنيا، لا يقال فيها ذلك.

الثانى: أن كثيرا من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التى لها نظير فى الجنة.

الثالث: أنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا: هذا الذى رزقنا فى الدنيا، ويستمرون على هذا الكلام دائما، إلى غير نهاية، والقرآن العظيم لم يقصد إلى هذا المعنى، ولا هو مما يعتنى بهم من نعيمهم ولذتهم، وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من المخاطب.

ومعناه: أنه يشبه بعضه بعضا ليس أوله خيرا من آخره. ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمارها وغير ذلك، بل أوله مثل آخره وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضا. فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه الله - سبحان وتعالى - ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه. والذى يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه. والله أعمل.

وأما قوله عزّ وجل:{وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً} قال الحسن: خيار كله لا رذل. ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه، وأن ذلك ليس فيه رذل؟.

وقال قتادة: خيار لا رذل فيه. فإن ثمر الدنيا ينقى منها ويرذل منها. وكذلك قال ابن جريج وجماعة. وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل. وقالت طائفة أخرى، منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله ﷺ: متشابها فى اللون والمرأى، وليس يشبه الطعم الطعم، قال مجاهد: متشابها لونه مختلفا طعمه.

وكذلك قال الربيع بن أنس. وقال يحيى بن أبى كثير: "عشب الجنة: الزعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون: هذا الذى جئتمونا به آنفا فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف. فهو قوله - عز وجل:{كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}.

وقالت طائفة: معنى الآية: أن يشبه ثمر الدنيا، غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب. قال ابن و هب: قال عبد الرحمن بن زيد: يعرفون أسماءه. كما كانوا فى الدنيا التفاح بالتفاح،

والرمان بالرمان، قالوا فى الجنة: هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها يعرفونه وليس هو مثله فى الطعم، واختار ابن جرير هذا القول قال: "وقد دللنا على فساد قول من قال إن معنى الآية هذا الذى رزقنا من قبل أى فى الجنة، وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هى الدلالة على فساد قول من خالف قولنا فى تأويل قوله:{وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}. أنه - سبحانه وتعالى - أخبر عن المعنى الذى من أجله قال القوم:{هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}.

قلت: وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال:{جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ}[1] وقال تعالى:{يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ}[2].

وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها، وقال تعالى:{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ}[3] وقال تعالى:{لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ} وقال تعالى:{وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ}[4] أى لا تكون فى وقت دون وقت، ولا تمنع ممن أرادها وقال:{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}[5] والقطوف: جمع قطف وهو ما يقطف، والقطف - بالفتح - الفعل، أى ثمارها دانية قريبة ممن تناولها فيأخذها كيف يشاء، قال البراء بن عازب: يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى:{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً}[6].

قال ابن عباس: إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد، وقال غيره: قربت إليهم مذللة كيف شاءوا فهم يتناولونها قياما وقعودا ومضطجعين، فيكون كقوله:{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}.

ومعنى تذليل القطف: تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون: ذلل النخل، أى سوّى عذوقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها وفى نصب {دَانِيَةٌ} وجهان: أحدهما: أنه على الحال عطفا على قوله متكئين. والثانى: أنه صفة الجنة، وقال تعالى:{فِيهِمَا مِن كُلِّ

---

(1) آية (50، 51) سورة (ص).
(2) آية (55) سورة الدخان.
(3) آية (73) سورة الزخرف.
(4) آية (32) سورة الواقعة.
(5) آية (23) سورة الحاقة.
(6) آية (143) سورة الإنسان.

فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[1] وفى الجنتين الأخرتين{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما، كما نص على حدائق النخل والأعناب فى سورة النبأ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها. وقد قال تعالى:{وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}[2].

وقال الطبرانى[3]: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا على بن المدينى، حدثنا ريحان بن سعيد، عن عبادة بن منصور، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن إسماعيل، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»** وقال عبد الله بن الإمام أحمد[4]: حدثنى عقبة بن مكرم العمى، حدثنا ربعى بن إبراهيم بن علية، حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«أهبط الله آدم – عليه السلام – من الجنة، وعلمه صنعة كل شىء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تتغير»** وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال. وفى صحيح مسلم[5] من حديث أبى الزبير، عن جابر عن النبى ﷺ قال: **«عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفا أخذته»** وفى لفظ: **«فتناولت منها قطفا فقصرت عنه يدى»** وقال أبو خيثمة: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبيد الله، حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: "بينما نحن فى صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبى بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم فى صلاتك شيئا ما كنت تصنعه قال: **«إنه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بينى وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه»** [6].

وقال ابن المبارك: أنبأنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد،

---

(1) آية (52) سورة الرحمن.
(2) آية (15) سورة محمد.
(3) (صحيح) الطبرانى (100/2)، ومجمع الزوائد (10/ 414).
(4) (صحيح) مجمع الزوائد (197/8).
(5) مسلم فى الكسوف: ب(3): حديث (9).
(6) (صحيح) أحمد (137/5)، والحاكم (604/4).

ليس فيه عجم"[1]. وقال سعيد بن منصور: حدثنا شريك عن أبى إسحاق البراء بن عازب قال: "إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياما وقعودا ومضطجعين على أى حال شاءوا"[2]. وقال البزار فى مسنده[3]: حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى، حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصى، حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى قال: حدثنا كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هى ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانه تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى دار سليمة، فاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فى محلة عالية بهية، قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال: قولوا إن شاء الله، قال القوم: إن شاء الله».**

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبى ﷺ إلا أسامة، ولا نعلم له طريقا عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافرى إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر.

وفى حديث لقيط بن صبرة الذى رواه عبد الله بن أحمد فى مسند أبيه وغيره: **«مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه»** [4]، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة" قال الحسن وأبو العالية: وهو ريحان هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه.

* * * * * * *

الباب السادس والأربعون
فى زرع الجنة

قال تعالى: **{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ}**[5]. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يحدث يوما وعنده رجل من أهل البادية: **«أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه – عز وجل – فى الزرع فقال له ، أو لست فيما اشتهيت؟** فقال: بلى، ولكنى أحب أن أزرع فأسرع، وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول الله - عز وجل : دونك يا بن آدم، فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابى: يا رسول الله، لا نجد هذا إلا قرشيا أو

---

(1) سبق تخريجه.
(2) (حسن) الترغيب والترهيب (971/4).
(3) سبق تخريجه.
(4) سبق تخريجه.
(5) آية (71) سورة الزخرف.